



خطبة صلاة الجمعة 28 / 6 / 2019 للشيخ الطيب محمد خير الشعال، في جامع أنس بن مالك، دمشق - المالكي

### (الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرشدًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، وصفيُّه وخليته، خيرُ نبيِّ اجتباه، وهدى ورحمة للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون، ولو كره من كره، اللهم صلِّ على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (9) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس: 9، 10]، قال ابن كثير في تفسيره: (قد أفلح من زكَّى نفسه وطهرها من الأخلاق الدنيئة والردائل).

أخرج الترمذي بإسناده عن سعيد بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مَا نَحَلَ وَالِدٌ وَلَدًا مِنْ نَحْلٍ أَفْضَلَ مِنْ أَدَبٍ حَسَنٍ».

وأخرج عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ، وَإِنَّ اللَّهَ يَبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيءَ».

عنوان خطبة اليوم: الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

#### أيها الإخوة:

في السير إلى الله تعالى يمر السالكون بمنازل، منزلة تلو الأخرى، تجتمع حيناً وتتتابع حيناً آخر، بعض هذه المنازل يمر بها السالك فيقطعها ثم يتجاوزها إلى غيرها، وبعضها يمر بها ويصطحبها معه طيلة سيره وسلوكه، ومن منازل السائرين التي يصطحبها معه طيلة سيره وسلوكه ولو تركها لرُدَّ من حيث جاء (منزلة الأدب).

قال الحسن البصري: "كان الرجل ليخرج في أدب نفسه السنتين ثمَّ السنتين".

وقال سفيان الثوري: "كان الرجل لا يطلب العلم حتى يتأدب ويتعبد قبل ذلك".

وقال مالك بن أنس: "كانت أُمِّي تَعَمِّمُنِي وتقول لي: اذهب إلى ربيعة الرأي فتعلّم من أدبه قبل علمه".

وقال رويم لابنه: "يا بني اجعل عملك ملحاً، وأدبك دقيقاً".

الأدب: هُوَ إِصْلَاحُ الأقوال والأفعال والأحوال وفق ما جاء في القرآن والسنة وتعارفه أولو الألباب.

والأدب أربعة فأدب مع الله وأدب مع رسوله صلى الله عليه وسلم وأدب مع الخلق وأدب مع

النفس

ولئن تحدثت خطبة الأسبوع الماضي عن الأدب مع الله تعالى؛ فإن عنوان خطبة اليوم: الأدب مع

رسول الله صلى الله عليه وسلم.

### أيها الإخوة:

شهد الله تعالى بالإيمان لأصحاب الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووعدهم المغفرة وأجرًا

عظيمًا، فقال سبحانه في سورة النور: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ

يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [النور: 62]، فلا سئذان قبل

الانصراف أدب من آداب أهل الإيمان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقال جل جلاله في سورة الحجرات: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاهَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ

قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الحجرات: 3] فعدم رفع الصوت في حضرة رسول الله صلى الله

عليه وسلم أدب معه صلوات ربي وسلامه عليه ولأهل الأدب مغفرة وأجر عظيم.

وإليكم — أيها الإخوة — مجموعة من آداب المسلم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، حري بمن أراد

رفعة الدارين والقرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم التمسك بها، واذكر — أيها الأخ الكريم — أن

من زاد عليك في الأدب زاد عليك في الدين، وأن الأدب يرفع المملوك حتى يجلسه في مجالس الملوك.

1- رأس الأدب مع النبي صلى الله عليه وسلم: كمال التسليم له والانقياد لأمره وتلقي خبره

بالقبول والتصديق.

روى البخاري ومسلم عن جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قال: "بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ"، زاد ابن حبان: "فكان جرير إذا اشترى شيئاً

أو باع يقول لصاحبه: اعلم أنّ ما أخذنا منك أحبُّ إلينا ممّا أعطيناكه فاختر!" وروى الطبراني في ترجمة جرير: "أنّ غلامه اشترى له فرسا بثلاثمائة، فلمّا رآه جاء إلى صاحبه فقال: إنّ فرسك خير من ثلاثمائة، فلم يزل يزيده حتى أعطاه ثمانمائة."

فكمال الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الانقياد لأمره والتسليم لسنته وحُكمه. روى الإمام مسلم عن عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ رضي الله عنه قال: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تِسْعَةً أَوْ ثَمَانِيَةً أَوْ سَبْعَةً فَقَالَ: «أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللَّهِ؟!» قَالَ: قَبَسْنَا أَيْدِيَنَا وَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَعَلَّامَ ثُبَايَعُكَ؟ قَالَ: «عَلَى أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَالصَّلَاةَ الْخُمْسَ، وَتُطِيعُوا، وَلَا تَسْأَلُوا النَّاسَ شَيْئًا». قال راوي الحديث: فَلَقَدْ رَأَيْتُ بَعْضَ أَوْلِيَّكَ النَّفَرِ يَسْقُطُ سَوْطُ أَحَدِهِمْ فَمَا يَسْأَلُ أَحَدًا يَنَاولُهُ إِيَّاهُ؛ انقيادا لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ووفاء ببيعته.

2- ومن الأدب مع الرسول صلى الله عليه وسلم: أن لا يتقدم بين يديه بأمر ولا نهي، ولا إذن ولا تصرف. حتى يأمر هو، وينهى ويأذن، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الحجرات: 1]، وهذا باق إلى يوم القيامة. فالتقدم بين يدي سنته بعد وفاته، كالتقدم بين يديه في حياته، ولا فرق بينهما عند ذي عقل سليم.

قال أبو عبيدة: تقول العرب: لا تقدم بين يدي الإمام وبين يدي الأب؛ أي لا تعجلوا بالأمر والنهي دونه.

وقال غيره: لا تأمروا حتى يأمر، ولا تنهوا حتى ينهى.

3- ومن الأدب معه صلى الله عليه وسلم: أن لا تُرْفَعَ الأصوات فوق صوته. فإنه سبب لحبوط الأعمال، فما الظن برفع الآراء، ونتائج الأفكار على سنته وما جاء به؟!.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ [الحجرات: 2]، روى البخاري والترمذي:

كان عمر إذا تكلم عند النبي صلى الله عليه وسلم لم يسمع كلامه حتى يستفهمه.

روى مسلم في صحيحه عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّهُ قَالَ: لَمَّا تَرَكْتُ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا

أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ...﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، جَلَسَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ فِي بَيْتِهِ، وَقَالَ: أَنَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ،

وَاخْتَبَسَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَسَأَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ فَقَالَ: «يَا أَبَا

عَمْرٍو، مَا شَأْنُ ثَابِتٍ؟ اشْتَكَى؟!»، قَالَ سَعْدٌ: إِنَّهُ لَجَارِي وَمَا عَلِمْتُ لَهُ بِشَكْوَى. قَالَ فَأَنَاتَهُ سَعْدٌ فَذَكَرَ

لَهُ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ ثَابِتٌ: أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ أَيَّ مَنْ أَرْفَعُكُمْ

صَوْتًا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَنَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ! فَذَكَرَ ذَلِكَ سَعْدٌ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَلْ هُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ» وَزَادَ فِي رِوَايَةٍ: فَكُنَّا تَرَاهُ يَمْشِي بَيْنَ أَظْهُرِنَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ.

وقد كره بعض العلماء رفع الصوت عند قبره عليه السلام. روى البخاري عن السائب بن يزيد، قال: كنت قائماً في المسجد فحصبني رجل، فنظرت فإذا عمر بن الخطاب، فقال: اذهب فأتني بهذين، فجئته بهما، قال: من أنتما أو من أين أنتما؟ قالاً: من أهل الطائف، قال: (لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما، ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم!).

وفي تفسير القرطبي: قال القاضي أبو بكر بن العربي: حرمة النبي صلى الله عليه وسلم ميتاً كحرمة حياً، وكلامه المأثور بعد موته في الرفعة مثال كلامه المسموع من لفظه، فإذا قرئ كلامه، وجب على كل حاضر ألا يرفع صوته عليه، ولا يعرض عنه، كما كان يلزمه ذلك في مجلسه عند تلفظه به.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُغْضُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾

[الحجرات: 3] وكره بعض العلماء رفع الصوت في مجالس العلماء تشريفاً لهم، إذ هم ورثة الأنبياء.

4- ومن الأدب معه صلى الله عليه وسلم: أن لا يجعل دعاءه كدعاء غيره. قال تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا

دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ [النور: 63]. وفيه قولان للمفسرين.

أحدهما: لا تجعلوا دعاءه لكم بمنزلة دعاء بعضهم بعضاً. إن شاء أجاب، وإن شاء ترك، بل إذا دعاكم لم يكن لكم بد من إجابته، ولم يسعكم التخلف عنها ألبتة.

الثاني: أنكم لا تدعون به باسمه، كما يدعو بعضهم بعضاً، بل قولوا: يا رسول الله، يا نبي الله.

قال الضحاك، عن ابن عباس: كانوا يقولون: يا محمد، يا أبا القاسم، فنهاهم الله عز وجل، عن ذلك، إعظاماً لنبیه، صلوات الله وسلامه عليه، قال: فقالوا: يا رسول الله، يا نبي الله. وهكذا قال مجاهد، وسعيد بن جبیر.

وقال قتادة: أمر الله أن يهاب نبيه صلى الله عليه وسلم، وأن يبجل وأن يعظم وأن يسود.

وقال مالك، عن زيد بن أسلم أمرهم الله أن يشرفوه.

وقولنا في الصلاة: اللهم صل على سيدنا محمد، قال في الدر المختار: (وندبت السيادة، لأن زيادة الإخبار بالواقع عين سلوك الأدب، فهو أفضل من تركه، ذكره الرملي الشافعي وغيره، وما نقل: لا تسودوني في الصلاة فكذب).

5- ومن الأدب معه صلى الله عليه وسلم: أنهم إذا كانوا معه على أمر جامع - من خطبة، أو جهاد، أو رباط - لم يذهب أحد منهم مذهباً في حاجته حتى يستأذنه. كما قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ ﴾ [النور: 62]، فإذا كان هذا مذهباً مقيداً بحاجة عارضة، ولم يوسع لهم فيه إلا بإذنه فكيف بمذهب مطلق في تفاصيل الدين: أصوله، وفروعه، دقيقه، وجليله؟ هل يشرع الذهاب إليه بدون استئذانه؟ ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: 43].

### أيها الإخوة:

هذه طائفة من آداب المسلم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وينفع في اكتساب الأدب الإكثار من ذكر الله ومطالعة الكتاب والسنة وصحبة أهل الأدب. واعلموا أن من تأدب بآداب القرآن والسنة صار من أهل المحبة، وأن ترك الأدب يوجب الطرد، فمن أساء الأدب على البساط رد إلى الباب.

نسأل الله أن يرزقنا الأدب معه سبحانه، ومع أنبيائه ورسله، ومع سائر خلقه.

اللهم أدبنا بآداب رسولك وخلقنا بأخلاقه واملنا بصفاته وحققنا بمتابعته.

والحمد لله رب العالمين